الفصل الأول
الوطنية المصرية والقومية العربية

obeikandl.com

obeikandl.com

صوت مصر
صادر من أعماق شعوب العرب

مصر وشقيقات مصر يواجهون جميعًا ـ اليوم ـ خطرًا واحدًا ومصر ـ اليوم ـ حين ترفع صوتها منادية شقيقاتها بالتكتل والتعاون ، والوقوف جنبًا إلى جنب لمواجهة ذلك الخطر ، إنما تفعل ذلك لأنها حريصة على أن تمنع فى هذه المرة المأساة الكبرى التي ظلت تعصف بالعرب منذ أطل عليهم النفوذ الأجنبي ، ومنذ تحكم في مصائرهم ذلك النفوذ !

إن مصر بموقفها الراهن من الخطر الذي يهدد كيان الأمة العربية إنما تناضل نضالا تاريخيًا ، لتخليص منطقة الشرق الأوسط من كل نفوذ أجنبي، فتصبح منطقة يسودها الرخاء والسلام والأمن ، يملك أبناؤها على اختلافهم مواردها ويسيطرون كأصحاب كل الحقوق في ديارهم ـ على سياستها ، ويوجهون كأصحاب كل الحقوق ـ دفة أمورهم بما يتفق ومصالحهم ، لا مصالح ذلك الأجنبي الدخيل الذي يتعامل مع العرب باعتباره سيدًا والعربي واحد من أتباعه !

لقد ولى ذلك العصر الذي كنا فيه نحن العرب ذيلاً للأقوياء ، نمضي خلف موكبهم بلا إرادة وبلا هدف ، كأننا قطيع من الأغنام نساق إلى حيث يشاء ذلك القوي المتطفل على بلادنا ، العامل دومًا على تحقيق مصالحه هو ، واستغلال مواردنا وإمكانياتنا وكل ما نملك ، كلما أراد ، مستغلاً ضعفنا وتفككنا ، وعدم قدرتنا على مقاومته ، ومستغلاً أيضًا ضعف ذلك الجيل من السياسيين العرب المتحالفين معه ، والمتآمرين على مصالح مواطنيهم ، سواء

عن عمد أو عن جهل وربما حبا في الخنوع ورغبة في الاستسلام .

وكان يمكن لا تقف حكومة مصر بعد ذلك الموقف التاريخي المجيد من كل خطر يهدد وحدة الأمة العربية ، ويعصف بمصائر الخمسين مليونا من أبناء هذه الأمة في منطقة الشرق الأوسط ، لو لم تقم في مصر ثورة ويتولى زمام الأمر فيها جيل سياسي جديد واقعي يؤمن بالقومية العربية والوطنية المصرية ، ويعمل ليله ونهاره منتهجا سياسة لا تخرج عن هذين الإطارين !

أقول : كان يمكن أن تتهاوى مصر وتستسلم وتسمح بتحطيم القومية العربية ، لو كان يحكمها ذلك الجيل من السياسيين المستضعفين الذين ترهبهم وتفزعهم رؤية قبعة ذلك الأجنبي الرابض في أراضيهم !

لكن مصر ـ اليوم ـ بعد أن تحررت من عوامل الضعف في داخلها وبدأت تبني أسسا جديدة لسياستها الداخلية والخارجية ، أصبح من المحال عليها أن تضعف أو تستسلم ، لأنها لو ضعفت أو تهاونت كما كانت تضعف وتتهاون دوما في الماضي فإن الخطر لن يعصف بها وحدها بل بالشقيقات العزيزات أيضا .

فنحن هنا في هذه المنطقة الهامة جدًا من العالم . . . منطقة الشرق الأوسط ـ قد ارتبطت مصائرنا تمامًا كأمة واحدة تربط بينها اللغة والدين والتقاليد والحدود المتشابكة ، فمصيرنا إذن واحد في النهاية !

وأريد أن أقول : إن مصر قد درست في اهتمام زائد ـ أخيرا ـ السياسة العربية في هذه المنطقة من الشرق الأوسط . . . . وكانت دراسة شاملة عميقة اعتمدت على الواقع والتاريخ ، فاستمدت اتجاهاتها من مآسي الماضي ودروس الماضي ومحن الماضي !

درست مصر ـ إذن ـ السياسة العربية وعلاقاتها بالعالم العربي ، بواقعه وبظروفه ، وبأهدافه ومصالحه .

ثم درست أيضًا علاقات هذا العالم العربي بالكتل المختلفة ، وذلك بعد أن درست ميثاق الضمان الجماعي ، واستعرضت مصر خلال دراستها هذه كل المآسي التي حلت بالعرب كأمة نتيجة للسياسات المتناقضة ، التي لا تستمد أصولها من الواقع أو التاريخ والتجارب العديدة على مر السنين !

ثم أقول : إن مصر بعد أن تمت دراستها تلك قررت أن تبلور سياستها هي ، وتحددها تحديدا واقعيًا واضحًا ، وانتهت ـ أي مصر ـ إلى جعل تلك السياسة داخل إطارين لا تخرج عنهما :

الوطنية المصرية ، والقومية العربية ، بحيث لا يظهر تناقض بينهما ، وبحيث لا تكون مصلحة مصر ،وسلامتها ومصالحها عاملا من عوامل إلحاق الضرر بمصالح وسلامة دولة عربية أخرى .

على هذا الأساس الذي شرحته رسمت مصر سياستها العربية ، ثم قررت أن تعمل في الحال وعلى المكشوف في حدود تلك السياسة الجديدة التي قررتها حكومتها الوطنية الثائرة .

وكان السجل الكامل لسياسة مصر والذي وضعته بين أيدي حكومات العرب يتلخص في هذه النقط :

أن الأمة العربية خرجت من الحرب العالمية الأولى بحفنة من الوعود حصلت عليها من بريطانيا ، وسرعان ما نسيت بريطانيا وعودها بعد انتصارها .

وبدلاً من أن تحصل الدول العربية على حريتها واستقلالها وكل حقوقها

كما كان متوقعا بعد تلك الوعود ، بقيت قوات بريطانيا تحتل مصر والعراق والأردن وفلسطين ، وأعطت بريطانيا سوريا ولبنان لصديقتها وحليفتها فرنسا .

وجاهد العرب وكافح العرب وقتل العرب وبقى الاحتلال !

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية . . . . وتعاون العرب مع دول الغرب كما هو معروف ، تعاونوا بكل ما يملكون من موارد وخرج العرب من الحرب المذكورة بنفس الحفنة من الوعود .

ومرة ثانية كافح العرب وناضل العرب وقتل العرب وبقى الاحتلال .

الغرب يريد تحقيق مصالحه

واليوم والعرب في طريقهم إلى تحقيق أمانيهم ومطالبهم المشروعة والتي كفح من أجلها آباؤهم وأجدادهم ، ليتخلصوا من الاحتلال الذي يعطل نهضتهم ، يجب علينا أن نرجع إلى الوراء لنستعرض ـ جميعًا ـ المآسي لتاريخية التي مرت ببلادنا ، حتي يمكننا وضع خطوط عريضة سليمة واضحة لمستقبل ومن أجل ذلك دعت مصر كل العرب إلى التمسك بميثاق الجامعة لعربية روحًا قبل التمسك به نصاً .

ودعت مصر كل العرب إلى التشبث بميثاق الضمان الجماعي روحا ونصًا ضا ، وبهذا فقط يكون للأمة العربية القوة والقيمة والرهبة ، فلا تكون مجرد مجموعة من الدويلات الصغرى المتنابذة المتنافرة المنقسمة على نفسها .

فإننا وهذا حالنا ـ اليوم ـ يمكن ابتلاعنا دويلة في إثر الأخرى ، ومصر تدعو العرب أن يمضوا ـ جميعًا ـ في طريق واحد ، فينتهجوا سياسة خارجية واحدة ، لأن المعسكر الغربي يهمه أن يسيطر على شعوب هذه المنطقة ليحقق مصالحه ، أما مصالحنا ، فلنرجع إلى سجل مآسينا التاريخية لنعرف أنها بعد أن تسيطر دول الغرب على شعوبنا سوف تتحول هذه المصالح إلى حفنة من الوعود المعسولة البراقة !

وذلك سيحدث إذا ما واجهنا الغرب متفرقين منقسمين على بعضنا !

كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد الثانية أيضًا ، فإن الغرب ستغل انقسامنا وتفرقنا وتنافسنا ليضرب ضربته فيصرعنا ، وقد كان ، وابتلع لغرب دولة في إثر الأخرى ، ووزع على بعضه الغنيمة . . . أي أمتنا !

أما إذا تكتلنا وانتهجنا سياسة خارجية موحدة واضحة مستمدة من واقعنا وتجاربنا وتاريخنا ، فإننا كأمة عربية متحدة نستطيع مواجهة الغرب ، ونحن كتلة واحدة ، فيعجز ـ في هذه الحالة ـ عن ابتلاعنا دولة وراء الأخرى ، ولا يمكنه أبدًا السيطرة علينا والبطش بمصالحنا !

إن مصر تعلم أن هناك ضغطًا واقعًا على حكومات بعض الدول العربية، وتعلم أيضًا أن هناك تهديدات لتلك الدول ، وأيضًا تعلم أن هناك وعودًا براقة وترغيبا ملحا لكي تخضع كل دولة منها على حدة .

فإذا استمعت الدول العربية إلى نداء مصر للتكتل وتوحيد السياسة والتشبث بميثاق الضمان الجماعي وميثاق جامعة الدول العربية ، إذا استمعت هذه الدول لذلك النداء الصادر من أعماق الشعوب ومن قلوبها فإن أي تهديد أو ضغط أو وعد معسول براق ، لا يمكن أبدًا أن تكون له قيمة ما ، إلا قيمة الورقة التي سطر عليها !

لن نسلم للغرب أو للشرق

إن العرب الأشقاء يقفون ـ اليوم ـ بين الشرق والغرب لسنا مع هذا المعسكر أو ذاك ، ومن المحال أن نسلم في سيادتنا فنفقد قوميتنا ومصالحنا ، إذا ما قررنا التكتل وانتهاج سياسة عربية خارجية موحدة .

لكن ما دمنا منقسمين ومختلفين ومفككين فإن الكتلة العربية تصبح خيالاً لا ظل له من الحقيقة ، وفي هذه الحالة ستسلم الدول العربية برغبتها أو رغمًا عنها بما يملى عليها .

وعلى هذا الأساس نادت مصر كل الحكومات العربية ، وقالت مصر لهم: انسوا الماضي وخلافات الماضي وابدؤوا عهدًا جديدًا في تطبيق ميثاق الجامعة العربية حتى لا تتكرر مآسيكم العديدة التي حدثت في الماضي .

وابدؤوا عهدًا جديدا وطبقوا ميثاق الضمان الجماعي العربي ، كما وضعتموه ، فإنه لا يزال ـ حتى اليوم ـ حبرًا على ورق ، فإن فعلنا هذا فسيثق كل منا في نفسه ، ثم في الآخرين ، وستفشل كل المحاولات التي يبذلها الغرب للسيطرة علينا ، وجرنا إلى شبكة أحلافه ، دولة وراء الأخرى، فلدينا ميثاقنا الجماعي ، لدينا السلاح الذي ندافع به عن أنفسنا وعن قوميتنا ومصالحنا ، فلماذا نلجأ إلى غيرنا ، وهذا الغير كما هو واضح لكل شعوبنا تتعارض مصالحه مع مصالحنا ؟

إن مصر عندما تقف في وجه هذا الخطر الداهم هذا الموقف التاريخي المجيد ، إنما تعبر عن إرادة شعوب العرب ، وعن رغبات تلك الشعوب ، فلماذا لا يلتزم المسؤولون العرب ـ جميعًا ـ نفس الموقف ، فلا نتحدى إرادة

شعوبنا ، ونمزق شمل وحدتها من أجل مصالح الغير ، وهي ـ كما قلت ـ تتعارض مع مصالح شعوبنا ؟

وقد اجتمع رؤساء حكومات العرب في القاهرة ليحددوا موقفهم من شعوبهم ، وهل هم مع الشعوب أم مع أعداء تلك الشعوب ؟

إن مصر في خلال تلك الاجتماعات كانت تضع قدميها على أرض صلبة ثابتة ، كان موقفها واضحا جدًا .

كان صوت مصر يدوي في تلك الاجتماعات معلنًا أن لا أحلاف عسكرية مع تركيا التي لا تملك هي نفسها مصيرها والتي تتبادل المعونة مع إسرائيل . . . عدوة العرب والخنجر المغروس في قلب الشرق الأوسط .

ومضى صوت مصر يعلن الحقائق في تلك الاجتماعات ، ومضى صوت مصر يشرح الموقف ، وكل كلمة قالتها مصر إنما هي صدى لما يتردد في أعماق كل الشعوب العربية . ومصر إنما حددت موقفها هذا من الأحلاف وهي تؤمن أن كل عربي في كل قطر من أقطار العرب يقف نفس الموقف .

فلماذا ـ إذن ـ تقف بعض حكومات العرب موقفًا يخالف موقف شعوبها ، ولحساب من تتخذ تلك الحكومات هذا الموقف وما هي نتيجة تحدي مشاعر الخمسين مليون مواطن في هذه المنطقة ؟

إنني أقول للملايين العربية : إن مصر تناشدكم الوقوف كما أنتم ، صفًا واحدا لمواجهة الخطر الداهم الذي أطل على الشرق الأوسط .

مهزلة المهازل

قلت : إن مصر حددت سياستها العربية داخل إطارين ومن المحال إخراجها ـ أي هذه السياسة ـ منها :

أولاً : الوطنية المصرية .

ثانيًا : القومية العربية .

ووضعت مصر ـ كما قلت ـ السجل الكامل لهذه السياسة الواقعية الجديدة بين يدي حكومات الدول الشقيقة .

وقالت مصر للشقيقات : «لا أحلاف أجنبية فعندنا ميثاق الضمان الجماعي ، وما علينا إلا أن ننفذ نصوصه بالتحديد فوراً فنتحرر من سيطرة النفوذ الأجنبي علينا فوراً أيضًا » .

وكنا ملتزمين حدود الصراحة التامة في توضيح الموقف هنا في الشرق الأوسط ، وعرفت حكومات العرب ألف باء السياسة المصرية العربية في عهد ما بعد فاروق .

عرفت ـ مثلاً ـ أن مصر ناضلت منذ قامت الثورة نضالاً مستمراً وصمدت عند موقفها وهي في سبيل حل قضية البلاد الوطنية ، فرفضت الأحلاف العسكرية كثمن لحل القضية ، ولم تقف جهود دول الغرب عند حد، فمضت تلح على الثورة لكي تقبل هذا الوضع . . . . قالوا : «لتوقع حكومة مصر حلف الشرق الأوسط ، وإلا فلن يتم الجلاء عن قنال السويس»

ولم توقعه حكومة الثورة ، بل كان ردها على هذه المساومة قاطعًا وحاسما .

وفوجئ الغرب بهذ الموقف العجيب من حكومة عربية لا تملك القوة التي تجعلها تتحدى الغرب وترفض التعاون العسكري معه بل وتهدد بإثارة حرب عصابات في منطقة قنال السويس .

هنا ظهرت حقيقة كبرى على المسرح السياسي في منطقة الشرق الأوسط، وهي أن دول الغرب لما تأكد لها أنه قد ظهرت في الشرق الأوسط حكومة تقف إلى جوار شعبها وتعده بخوض معركة مسلحة يشترك فيها الجيش جنبا إلى جنب مع الشعب ، بل وتستعد فعلاً وتعد الجيش والشعب لهذه المعركة ـ أقول ـ هنا تراجع الغرب ؛ لا لأنه خاف من حرب القنال الوطنية فقط ، بل لخوفه من امتداد تلك المعركة الوطنية المسلحة إلى عمان وبغداد وكل قطر متاخم للقنال فيه قوات محتلة !

فأي انتصار للشعوب العربية أقوى من هذا ؟ وأي تغيير هائل هذا الذي طرأ على الموقف السياسي في الشرق الأوسط ؟

إنه وعى الشعوب العربية التي وقفت في وجه الأحلاف ، منذ أطلت بشبحها عليهم ثم خاضت معارك عديدة في سبيل تحطيمها ، وموقف الشعب المصري من مشروع صدقي ـ بيفن ـ الذي نص على الدفاع المشترك ، إن موقف الشعب المصري من ذلك المشروع كان صارمًا وحاسمًا فلم توقعه حكومة صدقي خوفا من ثورة الشعب وكان قد تحرك فعلاً ليثور في ذلك الوقت .

وفي العراق وقف الشعب العراقي الباسل نفس الموقف من اتفاقية جبر ـ بيفن ـ فلم تتم المساومة .

وفي كل بلد عربي كان الشعب يلعن الأحلاف ، ويهتف من أعماقه بسقوطها ، وبسقوط كل حكومة تتحرك لتوقع حلفًا عسكريًّا .

وفي لبنان وسوريا والعراق وقفت الشعوب العربية بكل عواطفها مع شعب مصر أيام محنة صدقي ـ بيفن .

وكذلك قامت الشعوب العربية بنفس التأييد لشعب العراق الباسل وهو يناضل ليحطم مشروع جبر ـ بيفن ـ .

فكيف انبعث ـ إذن ـ هذا الوعي العظيم في أعماقنا نحن الشعوب العربية؟

إني لا أريد أن أدخل في تفاصيل ـ علمية ـ لأرد على هذا السؤال .

فالمسألة ببساطة هي أن الشعوب العربية أحست بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة بالخدعة الكبرى التي كانت هذه الشعوب ضحية لها طوال أعوام الحرب ، وذلك عندما رفضت بريطانيا الجلاء عن بلاد العرب المحتلة ، تنفيذاً لوعود الحلفاء المتعددة للعرب أثناء الحرب .

بل إن الموقف الذي كان واحداً في كل البلاد المستعمرة في هذا العالم ، ففي آسيا خدع الحلفاء الشعوب بوعودهم ، فوقفت تلك الشعوب إلى جانبهم ، وهي تأمل أن تتحرر بعد النصر ، فتجلو قوات الحلفاء عن أوطانها فحاربت جنبًا إلى جنب معهم واستشهد الملايين من أبناء آسيا من أجل الحلفاء ثم انتصر الغرب وأبقى قواته في أماكنها ، ليستأنف سيطرته على آسيا .

لكن الوضع الجغرافي للبلاد هناك ، لوجود أحراش وغابات وجبال ، ولبقاء السلاح في أيدي الشعوب الأسيوية حتى بعد انتهاء الحرب ـ لوجود كل تلك العوامل ـ قامت معارك مسلحة ضد المحتلين كلل معظمها بالنصر .

وهكذا لم تحقق شعوب آسيا استقلالها إلا بالدم ، لأنها انساقت وراء وعود الغرب حتى انتصر وهنا أنكر وعوده .

المسألة إذن أصبحت واضحة المعالم تمامًا أمام شعوب العرب ، فقد عرفوا أن التحالف بين الضعفاء والأقوياء مهزلة وخدعة يستغل بها القوي الضعيف ويسوقه إلى حيث يشاء بلا ثمن ومن أجل هذا رفضت الشعوب العربية الارتباط بأحلاف ، لأنها شعرت أن مصالحها لن تتحقق على هذا الأساس .

ثم قامت في مصر ثورة لتحقق إرادة الشعب المصري ، فاكتسحت في طريقها العرش والإقطاع والأحلاف ، وبالرغم من حدوث هذا التغيير في ميزان القوى في الشرق الأوسط ، أي بالرغم من وضوح موقف مصر حكومة وشعبًا تجاه الأحلاف لم ييأس الغرب ، ولم يكف عن محاولاته لفرض الأحلاف على حكومات الغرب ، وكانت آخر محاولة هي محاولته عزل الدول العربية عن بعضها بدخول واحدة وراء الأخرى في حلف : العراق ـ تركيا ـ باكستان ـ إيران ـ إنجلترا ـ أمريكا وأخيرًا إسرائيل .

هل شهد أحد ، أو سمع أحد . في بلاد العرب أعجب من هذا .

فنحن العرب مطلوب منا أن نوقع حلفًا مع إسرائيل ، بإرادتنا وباختيارنا!

وماذا أيضًا ؟

إن مهزلة المهازل قد ظهرت أخيرًا في بلاد العرب

إن العرب ربما كتب عليهم أن يشردوا ويجوعوا ويموتوا ، وتمتهن وطنيتهم وآدميتهم ويطردوا إلى الكهوف والعراء ، باختيارهم وعن رغبة منهم .

وماذا أيضا ؟

ماذا وراء الحدود هناك في العراق ، إن لم تكن مهزلة المهازل ؟

وأي عون ضخم للنفوذ الأجنبي في الشرق الأوسط يمكن أن يناله الغرب

أكثر مما أعطاه اتفاق نوري ـ مندريس ؟

إن الغرب لم يكن يأمل في أكثر من هذا ، في دق أول مسمار في كيان الأمة العربية ، ثم تتوالى بعد ذلك المسامير .

وهنا يتحقق للغرب هدفه باختيارنا وعن طواعية وكرم حاتمي جدًا !

ويكون الحلف الذي رفضته مصر وأصرت على رفضه ، حكومة وشعبًا، قد حاز القبول لدى دولة عربية فيها قوات محتلة ، أي خطر قائم فعلاً داخل الحدود ، وليس وراء الحدود ، وفي هذه الحالة تعزل الدول العربية التي ارتبطت بميثاق جامعتها ، عن شقيقاتها واحدة وراء الأخرى ، فينهار البناء الذي تريد مصر أن تجعل منه قوة فعالة ظاهرة لها قيمتها وكيانها القومي الموحد .

وهذا البناء الذي لا يريده الغرب أن يتم هو ميثاق الضمان الجماعي، فمصر قد أعلنت شقيقاتها بالخطة كاملة داخل إطارين لا ثالث لهما : الوطنية المصرية ، والقومية العربية .

وبشرط ألا تكون الوطنية المصرية عاملاً من عوامل إضعاف قضية شعب عربي آخر .

قالت مصر للشقيقات : « إننا ـ جميعًا نكون أمة عربية تشترك في الحدود واللغة والظروف والدين والمصالح ، فإذا أصبح لهذه الأمة قوة ظاهرة مستقلة وسط المنظمات العالمية على اختلافها ، وهذه القوة غير خاضعة لأي نفوذ أجنبي على الإطلاق ، مثل ميثاق الضمان الجماعي الموجود فعلاً على الورق، والذي يمكن ـ فعلاً ـ أن يصبح حقيقة واقعة في الحال ، إذ أصبح للأمة العربية هذه القوة المستقلة التي نتحكم نحن العرب فيها لا الأجنبي ، استطعنا حماية

مصالحنا من كل نفوذ أجنبي بدلاً من أن يفرض الأجنبي مصالحه علينا ، ويتدخل في شؤوننا ، ويمنع كل محاولة للقفز بشعوبنا نحو التقدم ، فمصالحه تتعارض مع تقدم هذه الشعوب » .

فالحكومة العربية ـ إذن ـ التي تنسلخ عن شقيقاتها وترتبط بحلف من هذه الأحلاف ، لا يكون هدفها الدفاع عن مصالح دولتها كما تدعي ، بل هي ـ في هذه الحالة ـ تعمل على تهديد مصالح شعبها ، متآمرة على هذه المصالح مع الأجنبي الذي ارتبطت به !

هذا هو الموقف الآن في الشرق الأوسط ، وليس هناك موقف ثان .

إننا لا يصح أن نسمح ـ شعوبًا وحكومات ـ للذين يعملون على هدم أمتنا العربية ، وتفكيك وحدتها بارتكاب هذا الوزر العظيم . ولنستفيد بما يجري ـ الآن ـ في العالم داخل المنظمات والتكتلات الدولية .

ولا توجد منظمة في أي مكان في العالم تربط بين دولها روابط حقيقية في اللغة والدين والحدود والظروف مثل دول منطقة الشرق الأوسط ، وبالرغم من هذا فإن عوامل الانهيار قد بدأت تظهر في بنائها ، في الوقت الذي نرى فيه ـ مثلاً ـ موقف دول غرب أوروبا التي أرادت تكوين الجيش الأوروبي ، فتلك الدول لا تربط بينها مثل هذه الروابط التي تربط بيننا نحن العرب ! وبالرغم من هذا فإن دول غرب أوروبا لم تنسلخ إحداها عن باقي الدول وترتبط في حلف خارجي آخر رغم إرادة باقي زميلاتها ، بالرغم من أنها تختلف دوامًا ولا تقف موقفًا موحدًا من تكوين ذلك الجيش الأوروبي فهو ـ أي الجيش ـ لم يتكون حتى الآن ، لكن تلك الدول المطلوب منها أن تخلق الجيش الأوروبي لم يصبها اليأس ، ولم تلجأ إحداها إلى جهة أخرى أو تنفصل عن بعضها .

ونحن العرب إذا كنا لم نضع ميثاق الضمان الجماعي موضع التنفيذ حتى اليوم فإن اللوم يقع علينا ، حكومات وشعوبًا !

وكما ـ قلت ـ فإن مصر قد حددت الموقف أمام العرب بصراحة ، ورسمت أمام شعوبهم وحكوماتهم الطريق الذي يحقق كل مصالحهم .

ولكي تضع مصر هذه السياسة القومية موضع التنفيذ رفضت بحزم وفي إصرار الدخول في حلف مع الغرب ، حتى لا تكون ـ أي مصر ـ عاملاً من عوامل تحطيم كيان الأمة العربية !

مصر ـ إذن ـ حريصة على خلق هذا الكيان العربي ، لا بالكلام والخطب والحفلات ، وإنما بالعمل السريع الحاسم وبالواقع الملموس .

إن مصر قد حصلت رغم موقفها الوطني الصريح على حقها في الجلاء؛ لأن الغرب عرف أنه من المحال ـ إطلاقًا ـ فرض حلف عسكري على حكومة الثورة ، خارج نطاق الجامعة العربية ، كما عرف أنه من المحال إقناع مصر بتحطيم كيان العرب وإعطاء دول الشرق الأوسط فريسة للأجنبي ، فإن مصر لم تقم ثورتها إلا للقضاء على كل نفوذ أجنبي يعطل تطور شعوب العرب التي تشترك مع مصر في اللغة والحدود والدين والظروف والمصالح الواحدة المتشابكة .

فإننا نحن العرب كما قلت أمة واحدة ، لنا قومية واحدة ، وهدف واحد مشترك ، هو الخلاص من السيطرة الأجنبية .

ولا توجد قوة في الوجود يمكنها أن تفرض على حكومة الثورة حلفًا أجنبيًا غير ميثاق الضمان الجماعي العربي لأن حكومة الثورة تؤمن بأن هذا الميثاق هو السبيل الوحيد لخلق القوة المنبعثة من خارج حدود هذه الأمة !

وبين الساسة العرب اليوم من يدعي أن الدول العربية لن تحصل على حاجتها من السلاح لتدافع عن نفسها إلا إذا قبلت شروط الغرب ، أي تدخل معه في حلف خارج نطاق الضمان الجماعي ، وهذا الذي يقوله بعض الساسة العرب إن دل على شيء فعلى الفهم الخاطئ للموقف في هذه المنطقة .

فالغرب إذا ما حقق هدفه عندما توقع الدول العربية حلف الشرق الأوسط ، سوف يبدأ في انتهاج سياسة مع العرب ، ونفس السياسة سيتبعها مع إسرائيل فهي أيضًا حليفة له فمثلاً إذا أعطى الغرب لإسرائيل مدفعًا فسيعطي العرب جميعًا أي الخمسين مليونًا مدافعًا واحدًا من نفس النوع ، وإذا سمح الأجنبي الذي ارتبطنا به ـ مثلاً ـ لنا نحن العرب بطائرة فسيعطي إسرائيل نفس الطائرة .

أي إن الأجنبي الذي يعمل بعض ساسة العرب على الارتباط به سوف يضعنا نحن العرب جميعًا في كفة ، ويضع إسرائيل في الكفة الأخرى .

فانظروا إذاً يا رجال العرب ويا ساسة هذا الشرق الأوسط النهاية التي تريدون أن تضعوها لشعوبكم ، انظروا كيف أنكم تسلمون مصائر هذه الشعوب لجلاديكم .

إنكم تجعلون من إسرائيل نداً لكم في هذا الشرق الأوسط ، وإسرائيل هي عدوتكم الأولى هنا في الشرق الأوسط .

إنكم ستحكمون بالإعدام على القومية العربية ، إنكم تدوسون مقدساتكم بالنعال ، إنكم تتاجرون بمصائر الملايين المشردة في الشرق الأوسط والملايين التي ستشرد فيما بعد ، عندما يصبح حلف الشرق الأوسط حقيقة واقعة .

وعندما لا يصبح لكم كيان عربي وعندما تتفتت الوحدة العربية ويدفن ميثاق الضمان الجماعي العربي في قبور بغداد ! فسلام على موتاكم في فلسطين ، وسلام على شعوبكم المريضة الجاهلة العارية ، وسلام على المستقبل كله .

obeikandl.com

المسمار الأول

شرحت موقف مصر بالتحديد تجاه الأحلاف الأجنبية ، وتحدثت عن سياسة مصر العربية ، وقلت : إن مصر تؤمن بأن السبيل أمام دول العرب للتخلص من السيطرة الأجنبية هو في ميثاق الضمان الجماعي العربي ، وليس في غيره على الإطلاق .

ففي ذلك الميثاق ضمانات لنا نحن العرب ، لا توجد في أي منظمة أخرى خارج منطقة الشرق الأوسط لعربي .

في ذلك الميثاق ضمن لنا من السيطرة الأجنبية ، وبداية للاستقلال بالرأي في سياستنا الموحدة ، حتى إذا شعرنا نحن العرب بخطر يهدد مصالح شعوبنا استطعنا ـ ونحن كتلة واحدة لها كيانها المستقل ـ أن نحدد في الحال موقفنا من ذلك الخطر فنواجهه ونمحقه ، بدلاً من التهاوي أمامه والاستسلام له كما سيحدث ـ قطعًا ـ عندما نرتبط بحلف أجنبي يسيطر عليه الغرب وإسرائيل !

وأقول ـ هنا : إن بعث القوة في ربوع الأمة العربية 'لموحدة المرتبطة مصالحها والموحدة أهدافها ، هو ما تكافح مصر من أجله منذ قامت ثورتها .

إن ما أصابنا في الماضي من جراء سياستنا العربية المتناقضة ، والضعف الذي كان طابعنا كلما أطل علينا خطر هدد مصائرنا ، وعدم وجود كيان عربي قوي يرهب كل الأعداء ، أي ميثاق موحد خاضع في نصوصه لمصالح شعوب العرب أولاً وقبل كل شيء ،وأيضًا ما أصابنا من وجود ساسة عرب من الجيل الذي تعود الانحناء أمام الخواجات والسير في ركابهم ، كل هذا وغيره من عوامل الانهيار والذل والخنوع الظاهرة في كياننا العربي قد جعل

الأجنبي يعمل دومًا على إبقائنا كما نحن بلا كيان موحد قوي ، حتى تسهل عليه عملية افتراسنا ، وسلب حقوقنا بل إبادتنا ، بإحلال شعوب أخرى مكان شعوبنا العربية كما حدث عندما جاؤوا إلى فلسطين بشرذمة من الأفاقين المغامرين ، وفرضوهم فرضًا على الوطن العربي ، ثم استولوا على ذلك الوطن ليعيش فيه شعب غريب دخيل طارئ على الشرق الأوسط ، أما الشعب الأصيل صاحب الأرض وصاحب كل الحقوق فأين هو الآن يا عرب؟

إن إسرائيل لم تخلق صدفة ، إنما خلقت لتهدد كيان الأمة العربية وتمهد لتمزيق تلك الأمة ، وتشريد أبنائها ، وسلب أرزاقهم وإفساح الطريق أمام النفوذ الأجنبي ليمضي كما هي العادة في السيطرة على المنطقة كلها .

إنهم خلقوا إسرائيل لهذا السبب فقط ، لتكون رأس الرمح الذي يسدد إلى قلب الأمة العربية ، ليحطم وحدتها ويمزق رقعتها ، ويشيع فيها الاضطراب ، والخلافات والتناحر ، فيظل العرب كما هم ـ مشغولين ـ بخلافاتهم وتنابذهم وتناحرهم ، فلا يعملون على بعث قواهم لمواجهة الأخطار والسيطرة الأجنبية .

وكما قلت إسرائيل لم تخلق صدفة ، ففي الوقت الذي أنكر فيه الغرب وعوده للعرب بعد الحرب العالمية الأولى ، فلم نحصل نحن العرب على حقوقنا ، كما كان معلومًا أثناء قيام تلك الحرب ، وبعد وقوف دول العرب إلى جانب الغرب ، في نفس الوقت نجد الغرب قد منح الصهيونية وعدًا قاطعًا عام ١٩١٧ لقيام دولة إسرائيل ، وهو المعروف بوعد بلفور !

وتحقق الوعد ـ فعلاً ـ وقامت إسرائيل فوق جماجم أبناء الشعوب العربية والمصالح العربية ، والقومية العربية .

هذا والعرب هم الذين وقفوا إلى جانب بريطانيا وساعدوها على النصر

فكافأتهم بخلق إسرائيل . . . !

نحن العرب ـ إذن ـ لا قيمة لنا على الإطلاق في نظر هؤلاء الأجانب .

إنهم يعدوننا فقط ، أما ما بقى أي تنفيذ الوعد ، فبين ساسة العرب وزعماء العرب أقطاب تعودوا أن يخضعوا وينحنوا أمام كلمة الأجنبي وأوامره، وفي هؤلاء الساسة العرب الخاضعين المتآمرين على شعوبهم لكفاية، ليظل الأجنبي فارضا نفسه علينا ، مقدمًا مصالحه على مصالحنا ، ناهبا أرزاقنا ومستغلا مواردنا .

وبعد هذا ، عندما تقول مصر لحكومات العرب ـ بصراحة ـ أن مأساتنا، ـ جميعًا ـ واحدة ، وأن عدونا واحد هو النفوذ الأجنبي ، فتعالوا نتكتل أمام المصيبة الواحدة لنخرج من نطاقها ، وعندما تقول مصر لحكومات العرب أن السبيل إلى هذا هو القوة المنبعثة من كيانها كأمة واحدة ، وعندما تقول مصر لحكومات العرب ، عندنا ميثاق الضمان الجماعي تعالوا نحوله من حبر على ورق إلى حقيقة واقعة ، ولدينا كل الإمكانيات ، وعندما تقول مصر لحكومات العرب تعالوا نحدد سياستنا الخارجية على أساس مصالحنا كعرب ، كأمة ، عندما لا تخفى مصر شيئا من الحقائق والخطط المنبعثة من واقع حياة العرب يفسر بعض أقطاب العروبة هذا الكلام بأن يتحالفوا مع تركيا وإسرائيل ويرتموا في أحضان الغرب .

وحينما اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ١٠ ديسمبر ١٩٥٤ ، قابل الرئيس جمال عبد الناصر وزراء خارجية الدول الشقيقة ، كل وزير منهم على حدة .

وقال الرئيس جمال لهم : إن سياسة مصر العربية تنحصر في أن وطنيتنا المصرية لا يصح أن تلحق الضرر أو تطغى على القومية العربية ، وقال لهم:

إن مصلحة مصر لا تتعارض إطلاقا في أية ناحية مع مصلحة شقيقاتها ، بل إننا نعمل ـ الآن ـ ونحن نؤمن أن المصلحة الوطنية لشعب مصر يجب أن تسير جنبا إلى جنب مع القومية العربي نفسها ، ثم قال لهم : « إن الخلاف الوحيد الذي يمكن أن يؤثر على كياننا العربي الموحد والذي يمكن أن يضعف من مقوماتنا ، ينحصر في وجود خلاف ـ أي خلاف ـ بيننا في السياسة الخارجية » .

وأنهى الرئيس جمال حديثه ـ الصريح ـ مع وزراء خارجية العرب بأن طلب أن تتفق الدول العربية على سياسة واحدة محددة تواجه بها العالم كله كتلة واحدة فيصعب تمزيق شملها .

وعقد وزاء الخارجية تسع جلسات ، ثم اتفقوا على السياسة الخارجية وكان الاتفاق على ما يأتي :

أ ـ ترتكز السياسة الخارجية للدول العربية على ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية وعلى ميثاق الأمم المتحدة ولا تقر عقد أحلاف غير ذلك .

ب ـ التعاون مع الدول الغربية على الأسس التالية من غير الدخول في أحلاف عسكرية :

١ ـ حل القضايا العربية حلاً عادلاً .

٢ ـ إتاحة القوة اللازمة للبلاد العربية كي تحافظ على سلامتها وكيانها من أي عدوان بدون أن يكون في ذلك أي انتقاص من سيادتها .

ثم تحفظ العراق التحفظ الآتي :

إن العراق يحتفظ لنفسه بحق تعديل المعاهدة العراقية البريطانية على غرار

ما فعلته مصر مع بريطانيا مع إضافة إيران وتركيا في حق عودة القوات البريطانية إلى العراق .

ووافق وزراء الخارجية على هذا التحفظ .

والمفهوم من تحفظ العراق أنه سيتفق مع بريطانيا على إجلاء جنودها من «الحبانية والشيبة» .

ثم اتفق وزراء الخارجية العرب على أن يجتمعوا في يناير ١٩٥٥ ، تمهيداً لاجتماع رؤساء الحكومات العربية ، ودلك لتنسيق هذه السياسة وتدعيمها اقتصاديّا وعسكريّا .

لقد خرج وزراء خارجية دول العرب من تلك الاجتماعات وهم يشعرون بالاطمئنان الشديد على الخطة العملية التي وصلوا إليها ، شعروا يومها بأن القومية العربية في طريقها ـ أخيراً ـ إلى أن تصبح حقيقة واقعة ، بعد أن كانت مجرد خيال .

ثم بعد أن اطمأن العرب على مستقبلهم الذي حددوا برنامجه ورسموا خطوطه العريضة الواضحة ، حمل الأثير إلى آذان العرب حكومات وشعوب بيان حكومة العراق الذي أعلنت عنه اتفاقية نوري ـ مندريس يوم ١٢ يناير سنة ١٩٥٥ .

كانت مفاجآة للشعوب العربية كلها ولحكومات تلك الشعوب ، فها هو المسمار الأول في كيان القومية العربية تدقه دولة شقيقة ، وليس إسرائيل أو إنجلترا أو أمريكا . دولة شقيقة هي التي تحاول القضاء على هذه القومية وتبدد شمل العرب لمصالح النفوذ الأجنبي !

إن حكومة العراق لم تؤمن بمصالح الشعوب العربية فقررت أن تنسلخ

عن كيـان الأمة العربية ، مـتحدية مشاعـر كل شقيقـاتها ، ومتحـدية أيضًا مصالح شعب العراق نفسه .

وأنا أتحدث هنا كـمواطن عربي فأقول ما فـائدة ميثاق الضمـان الجماعي إذن؟ بل لماذا يبقـى هذا الميثاق المظلوم مـا دامت هناك حكومة عـربية ، وربما حكومات أخرى غيرها لا تعترف بنصوصه ، أو حتى بوجوده فتلجأ إلى غيره من المواثيق التي يسيطر عليها الأجانب وإسرائيل ؟

ولماذا لا يلغى هذا الميـثاق العربي ـ في الحال ـ مـا دام لا يساوي في نظر بغداد وغيرها من عواصم العرب قيمة الورقة التي سطر عليها ؟

إنني كما أقول أتساءل كمواطن عربي فقط لأني أريد أن أعرف ـ كمواطن عربي ـ الموقف بالتحديد ، فالمسـألة لا تخـص العـراق أو بيـروت أو دمشق أو القاهرة ، بل تخص خمـسين مليونًا أنا واحد منهم ، يعيـشون في منطقة الشرق الأوسط ، ويتكلمون لغة واحدة ويعتنقون دينًا واحدًا ، ومصيرهم في الحاضر والمستقبل واحد ، لأن لهم قومية واحدة .

إن كل واحد من الخمسين مليون عربي هنا في الشرق الأوسط ، يتساءل مثلي عن سر بقاء ميثاق الـضمان الجماعي ـ حتى الآن ـ على الورق ، ولماذا لا يصبح حقـيقة واقعة ـ في الحـال ـ أو يلغى في الحال ، فيتـحدد بعد ذلك موقف كل حكومة عربية من مصالح شعبها ومن مستقبله ؟

أما مصر فإن موقـفها لن يتغير ، فهي ستقف كـالعملاق هنا في الشرق الأوسط لتـقاوم بكل مـا تملك من قـوة وإيمـان الأحـلاف ،حتى لا يتـمكن الأجنبي منا مرة ثانية ويجعلنا عبيدًا له وهو السيد المطاع .

إن مصر ستصمـد ولن تغير من موقفها كما صمـدت أمام الغرب عندما أراد فرض حلف الشرق الأوسط على حكومة الثورة كثمن للجلاء .

وكان النصر في النهاية لحكومة الثورة ، لأنها كانت تستمد موقفها ذلك من إرادة الشعب المصري .

وكل حكومة عربية أصبح يتحتم عليها أن تضع أمامها مصلحة شعبها أولاً ، قبل أن تضع في حسابها مصلحة إسرائيل وتركيا وباكستان وإيران وإنجلترا وأمريكا إلى آخر القائمة التي لا تتضمن ـ إطلاقًا ـ مصلحة واحدة لأي عربي في الشرق الأوسط .

فإذا أردات حكومة من حكومات هذه الدول العربية ، أن تتخلى عن شعبها ، وترتمي في أحضان الغرب ، فلتحدد موقفها ـ إذن ـ في الحال هل هي مع العرب أم مع إسرائيل ؟

ثم ليمزق ميثاق الضمان الجماعي العربي في الحال أيضًا ويترك الأمر بعد ذلك للشعوب العربية نفسها ، فهي في هذه الحالة ، تصبح مسئولة عن حمية مصالحها ، بعد أن تخلت الحكومات عنها .

وبعد ذلك سلام على شهداء فلسطين وسلام على القومية العربية ، وسلام على مصالح العرب وأرزاق العرب ومستقبل العرب !

مدرسة الخيانة

منذ بدأت تفوح في الجو رائحة الخيانة التي أقدم عليها نوري السعيد بجرأة هذه المرة لأنه أعلنها ، وكان من قبل يرتكب خياناته ولا يعلنها بمثل هذه الجرأة ، أقول منذ فاحت هذه الخيانة وأنا أتحرق لكي أعود مواطنًا غير مسئول حتى أستطيع أن أقول كلمتي بصراحة من غير أن أحرج أحدًا أو أن أسيء إلى وضع ، ولكن شاء السيد نوري السعيد أن يعفيني من هذا الحرج بتصميمه على المضي في خياناته إلى آخر الشوط .

لقد نكبت شعوبنا بالاستعمار والانقسام والاختلاف وشهوات الأنانية وحب الذات وعشرات الشهوات الأخرى بفعل مدارس الخيانة التي قامت في داخل شعوبنا على يد أبناء من هذه الشعوب ، قامت هذه المدارس أساسًا على أيدي أبناء من شعوبنا كما قلت يصفون أنفسهم تارة بالواقعية وطورًا بالأفق الواسع لكي يبشروا بين مواطنيهم بمبادئ جديدة للوطنية هي الخضوع والتسليم للمستعمر الغاصب لأننا ضعفاء ولن نستطيع أن نصل إلى قوة هذا الغاصب وإذن فلابد من مصادقته ، ولكي يبرروا هذه الصداقة لا يمنع الأمر أن يصفوها في تبجح صداقة «الند للند» لكي يضللوا الشعوب بالألفاظ في الوقت الذي يقتلون فيهم كل روح للمقاومة أو العزة أو الكرامة ، لقد بلونا هذه المدارس في مصر هنا قديمًا وحديثًا .

فلم تزل خيانة توفيق «خديو مصر المشهور» ترن في كتب التاريخ وعلى أرض هذا البلد الأمين .

استمع معي إلى البيان الذي أصدره توفيق لكي يستعدي أعداء البلاد على

أبنائهـا ، وينذر بشديد العـقاب لكل من يقـاوم الإنجليز في حـتلالهم أرض الوطن .

إنه يقول بالنص في منشوره :

« **ليكن معلومًا عند السلطات الملكيـة والعسكرية في منطقة قناة السويس أن أميرال الأسطول الإنجليزي وقائد الجيوش البريطانية العام إنما أتيا إلى مصر لإعادة الأمن والنظام إليها ، ومن ثم سمحنا لهـما باحتلال جميع الأمكنة التي يريان في احتلالهـا ما يساعد على قمع العصيـان ، ومن خالف أمرنا هذا ينزل به أشد العقاب** » .

وتبع هذا البيان أن قام مواطنون مصريون من مدرسة توفيق الخائنة بالتقدم أمام الجيـوش البريطانية الظافـرة لكي يبشروا في الناس برسالة هـذه الجيوش التي باركهـا أفندينا ولي النعم ، وإنها إنما جاءت لكي تنشـر الأمن والعمران في ربوع البلد الأمين .

نعم . . . . كـان الذين يبـشرون بـهذه الخـيـانة أمام الجـيش الإنجليـزي المغتصب مواطنون مصريون بل ومن الريف وأعيانه الذين ما لبثوا بعد ذلك أن قبضـوا ثمن هذه الخيانة من زعيم مـدرستهم توفيق آلاف الأفـدنة لكل واحد منهم ، أما بقية الشعب فقد تركوا لمصـيرهم الأسود اثنين وسـعين عامًا كاملة قتل فيـهم من قتل وشرد فيـه من شرد . وجاعوا وتعـروا وجهلوا ، وأصبح رجال مـدرسة الخيانة وأبناؤهم من بعـدهم هم السادة الأغنياء الذين ينعـمون بخيرات الأرض والجاه والسلطان في ظل أفندينا ومن توارثوا ملكه من بعده .

كل ذلك مثـلاً من أمثلة مدرسة الخيـانة في الماضي التي جلبت على هذا الشعب لعنة ظلت تطارده اثنين وسبعين عامًا .

وحديثًا وقف رجل ومواطن مصري هو القتيل أمين عثمان يخطب في حفل كلية فيكتوريا الإنجليزية سنة ١٩٤٠ حينما كانت كل البلاد تصرخ من أقصاها إلى أقصاها بالكراهية لإنجلترا وترفض دخول الحرب معها وتصر على سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، أقول وقف أمين عثمان وسط كل هذا يخطب في حفل كلية فيكتوريا ويقول في بجاحة أنه يشبه إنجلترا ومصر بالزوجين وشاء له خياله الخائن أن يصف هذا الزواج بأنه زواج كاثوليكي لا انفصام له أبد الدهر ، ثم أمعن في الخيانة فقال : «**حتى لو تركتنا إنجلترا وهي الزوج فلن تتخلى عنها مصر وهي الزوجة بل تسير وراء إنجلترا إلى آخر الأرض ...** ».

لم يكتف بهذا بل قام يبشر علنًا وعلى رؤوس الأشهاد بهذه الخيانة فيما أسماه « رابطة النهضة» التي أسسها لتكون حزبًا ينادي بهذه المبادئ ويبشر بين المواطنين بها بمنطق عجيب هو المنطق الأزلي لمدرسة الخيانة التي تقول إننا ضعفاء وأنى لنا بالأساطيل والدبابات والمدافع التي لبريطانيا أننا لن نستطيع أن نملكها ، وإذن فمن الخير لنا أن نصادق بريطانيا . . . وفي بجاحة أيضًا « صداقة الند للند » . .

كنت أسرح بخيالي في هذا التاريخ البعيد والقريب وأنا أستعرض كلام نوري السعيد على لسان مندوبه الذي أرسله بعد أن جبن عن مواجهة المجتمعين من رؤساء حكومات الدول العربية .

قال هذا المندوب وهو الدكتور فاضل الجمالي في أول جلسة حضرها وهي الجلسة الثامنة بعد أن سمع تلخيص ما دار في الجلسات السابقة والقراءات التي تم الاتفاق عليها: «إن سياسة العراق تتلخص في ثلاث نقاط :

الأولى : تحرير العرب ووحدتهم .

والثانية : سلامة العراق والمحافظة على صداقتنا مع جيراننا .

والثالثة : وهي التي تتعلق بسياستنا الدولية فقد كانت سياستنا دائمًا إيجابية مع الغرب وهذه هي سياستنا المثلثة » .

ثم تابع كلامه ، واستمع معي جيدًا إلى ما يقول :

« وأن العراق مستعد للمساهمة في معاهدة الدفاع المشترك العربي على الدوام ، ولكن علينا أن نكون واقعيين فهذه المعاهدة لا تفيدنا في الدفاع عن حدود العراق الشمالية الشرقية ، ولذلك؛ فإننا ملزمون بالتفاهم مع الغرب للحصول على العتاد وكذلك التفاهم مع جيراننا لتنسيق الخطط » .

« وقد اتصلنا بأمريكا منذ سنتين لطلب سلاح ولكن الضغط الصهيوني حال دون ذلك . وعندما سافرت في العام الماضي لأمريكا جددت الطلب وكدنا نصل إلى اتفاق ولكن الصهيونية نجحت في تعطيله وعندئذ أرسلت خطابًا إلى مستر دالاس وذكرت فيه أن العراق حريصة على أن تقف مع الغرب ضد الشيوعية » .

ثم يمضي بعد ذلك في صراحة غريبة قائلاً :

« وبعد ذلك رأينا ضرورة تنظيم الدفاع عن بلادنا خاصة وأن المعاهدة العراقية البريطانية ستنتهي قريبًا وبموجب المعاهدة الحالية فإن بريطانيا عليها أن تساعدنا في الدفاع عن حدودنا ولكن إذا انتهت هذه المعاهدة فسنكون وحدنا للدفاع عن بلادنا » .

ثم تأتي بعد ذلك روعة الخيانة سافرة مجلجلة فقد سأل دولة توفيق أبو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن ـ في ذلك الوقت ـ الدكتور فاضل الجمالي بعد أن امتدت المناقشة .

« ورد في البيان : والمقصود بالبيان هنا هو البيان الذي صدر في بغداد وأنقرة عن حلف نوري ـ مندريس » نص التعاون بين البلدين لصد العدوان من الداخل أو الخارج أو أي جهة كانت والآن تفضلتم بذكر أن الاتفاق لا يخرج عن تبادل معلومات ومرور عتاد ، وقد ذكرت تركيا للبنان أن المقصود من صد الاعتداء من الداخل هو إسرائيل فهل يعني ذلك أن تركيا ستقف ضد أي عدوان من إسرائيل على أي بلد عربي أم أن واجبهم يقتصر على تبادل المعلومات ومرور القوات والعتاد ؟ » .

فرد السيد برهان الدين باش أعيان وزير خارجية العراق بالنيابة حينذاك قائلا :

« كان الأتراك مستعدين للتعاون العسكري إلى أبعد حد ولكن نظرًا لارتباطنا بالدول العربية وعدم رغبتنا في قبول أي التزامات عسكرية قد تتعارض مع التزاماتنا مع البلاد العربية رأينا الاكتفاء بهذا المشروع المبسط واستبعدنا تبادل الجيوش فإذا شئتم التوسع يمكننا أن نفعل ذلك » .

وهنا سئل :

« أفهم من ذلك أن اشتراك تركيا في صد عدوان إسرائيل يعتبر نظريًا »

وهاكم الرد يا شعوب العرب ويا شباب العرب ويا أرواح شهداء العرب.

لقد رد السيد برهان باش أعيان بالحرف الواحد :

« نعم فهو يعتبر نظريًا وغير قائم بخلاف ما جاء في البيان المشترك » .

أي إن وزير خارجية العراق لا يؤكد فقط أن اشتراك تركيا في صد عدوان إسرائيل إذا هاجمت دولة عربية ليس نظريًا فقط ، وإنما هو يكذب أيضًا ما أصدره رئيسه نوري السعيد في هذا البيان المشترك الذي بشر العرب باتفاق

نوري ـ مندريس ويقرر أن الحقيقة خلاف ما جاء في هذا البيان .

أو بصريح العبارة يقرر سلامة إسرائيل ومجدها الذي لن يمس بعد أن أصبح نوري حليف حليفة إسرائيل .

دعوني أتكلم بصراحة يا إخواني العرب ، أن أخطر ما نواجهه اليوم ليس الاستعمار وليس الفقر ، وليس الجهل ، وليس المرض ، وإنما أخطر ما نواجهه اليوم هي مدرسة الخيانة في كل شعب من شعوبنا .

لقد قضينا عليها نهائيًا في مصر وأدعوا الله أن توفقوا في القضاء عليها في أوطانكم لكي تتطهر أرضنا ومياهنا وتنمو زروعنا بعدما أصابنا التلف وخربتنا الخيانة .

openkandl.com